ونستغفرك لما لا نعلمه)[1] إن قلت هذا الدعاء فقد برئت بـــإذن الله U من الشرك كبيره وصغيره .

والناس مُنقسمون بحسب هذين الأصلين إلى أربعة أحزاب :

الحزب الأول : أهل الإخلاص للمعبود ، والمتابعة للرسول e ، وهم أهل { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } حقيقةً .

الحزب الثاني : من لا إخلاص له ولا متابعة ، وهؤلاء خرجوا بالكليـــة عن هذه الآية { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } فليس لهم فيها نصيب .

الحزب الثالث : من هو مخلص في أعماله ، لكنها على غير متابعة الـــنبي e ، وهذا ضلَّ الطريق .

الحزب الرابع : من أعماله على متابعة النبي e ، لكنها لغير الله وهـــذا هو المنافق والمرائي[2].

والعبودية خاصة وعامة :

فالعبودية العامة : " **عبودية القهر والملك** " كقوله تعالى : { إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ

---

(١) رواه أحمد (٤ / ٤٠٣) من حديث أبي موسى الأشعري t مرفوعاً ولفظه : (يا أيها الناس ! إتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل) فقال له مَن شـــاء الله أن يقول : كيف نتقيه يا رسول الله وهو أخفى من دبيب النمل ؟ قال : (قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نُشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلم) . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١٠ / ٢٢٣) : رواه أحمد والطبراني في الكـــبير والأوســـط ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ، ووثقه ابن حبان. ا.هـــ.

(٢) انظر مدارج السالكين (١/١٠٤ - ١٠٦) وهو هنا بتصرف .

ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا }[1] ، ومثل قول الله تعالى: { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ }[2] .

وأما العبودية الخاصة : فهي " عبودية الطاعة والمحبة " كقوله تعالى : { يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ }[3] ، وكقوله تعالى : { فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ }[4] ، وكقوله سبحانه أيضاً : { وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا }[5].

وقد فَصَّل الإمام ابن قيِّم الجوزية – رحمه الله – في كتاب " مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين " ، ما يقارب من سبعين مترلاً من هذه المنازل العظيمة ، وذكر أنَّ من العلماء من عَدَّها ألف مترلة ، وبيَّن في كتابه قواعد العبودية ومراتبها ومنازلها .

وصف الرسول e بالعبودية في القرآن :

ومن أعظم من وُصِفَ بالعبودية رسولنا محمد e ، فقد وصفه الله بها في أعظم أحواله ، ومن ذلك :

---

(١) مريم : ٩٣ – ٩٥ .
(٢) الفرقان : ١٧ .
(٣) الزخرف : ٦٨ .
(٤) الزمر : ١٧ ، ١٨ .
(٥) الفرقان : ٦٣ .

١- في الإسراء ، قال جل وعلا : { سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا } [١] .

٢- في الوحي ، قال جل وعلا : { فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ } [٢]، وقال سبحانه : { ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا } [٣]. وقال تبارك وتعالى: { تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا } [٤].

٣- في الدعوة ، قال سبحانه : { وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا } [٥] .

٤- في التحدي ، قال تعالى : { وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ } [٦] .

٥- في النصر ، قال جل وعلا : { وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ } [٧].

---

(١) الإسراء : ١ .

(٢) النجم : ١٠ .

(٣) الكهف : ١ .

(٤) الفرقان : ١ .

(٥) الجن : ١٩.

(٦) البقرة : ٢٣ .

(٧) الأنفال : ٤١ .

فهذه مقاماتٌ عالية شريفة ، ومع هذا وصفه ربه بالعبودية ، وذلـــك أن العبودية من أشرف المنازل وأعظمها وأعلاها .

وصف رسول الله e نفسه بالعبودية :

روى الطبراني بإسناد حسن – كما قال المنذري في الترغيب – عن ابـــن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله e ذات يوم وجبريل عليـــه السلام على الصفا ، فقال رسول الله e : (**يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآلِ مُحمد سفّةٌ من دقيق ولا كَفٌّ من سَويق**) فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هَدَّةً من السماء أَفزَعَتْهُ ، فقال رسول الله e : (**أمـــر اللهُ القيامةَ أن تقوم ؟**) ، فقال جبريل u : لا، ولكنْ أمر إسرافيلَ فنَزل إليك حين سمع كلامك، فأتاه إسرافيل فقال : إنَّ الله تعالى سمع ما ذكرت ، فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض ، وأمرني أن أعرض عليك : أُسيِّرَ معك جبالَ تهَامَةَ زُمُرُّداً وياقوتاً وذهباً وفضةً ، فإن شئت نبياً مَلِكاً ، وإن شئت نبياً عبداً، فأومأ إليه جبريل أن تواضع، فقال e: (**بل نبياً عبداً**) ثلاثاً[1].

وجاء في الصحيح عن عمر بن الخطاب t قال : قال رسول الله e : (**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبدٌ ، فقولوا : عبد الله ورسوله**) [2] .

---

(١) رواه الطبراني (٦٩٣٧) ، والبيهقي (٤٤٧) في الزهد .

(٢) رواه البخاري (٦٨٣٠) .

وفي صحيح مسلم : قوله e في بيان ما نقوله بعد الأذان : (...**ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة**) [1] .

وكان يقول e : (**إني أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد**) [2] .

من ثمراتِ العبودية :

روى البخاري من حديث أبي هريرة t قال : قال رسول الله e: (إنَّ الله تعالى يقول : (**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه**) [3] .

وروى الحاكم عن معقل بن يسارٍ t ، عن النبي e أنه قال : (**يقول ربكم : يا ابن آدم تفرَّغ لعبادتي أملأ قلبك غنى، وأملأ يديك رزقاً**)[4]

---

(١) رواه مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٢) مسند أبي يعلى (٤٩٢٠) .

(٣) رواه البخاري (٦٥٠٢) .

(٤) رواه الحاكم (٣٢٦/٤) وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

وفي رواية : (**أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ، وإلا تفعل ملأتُ صـــدْرَك شُغْلاً ولم أسد فقرك**) [1].

وروى البخاري عن أبي هريرة t عن رسول الله e قال : (**تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، إنْ أُعطيَ رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**) [2] .

# # # #

(١) رواه ابن ماجه (٤١٠٧) ، والترمذي (٢٤٦٦) ، واللفظ له وقـــال : حـــديث حسن ، ورواه الحاكم (٤٤٣/٢) وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

(٢) رواه البخاري (٢٨٨٧) .

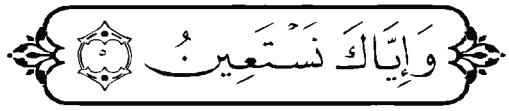

ذكر الله جل وعلا الاستعانة في قوله : { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } ، بعد العبادة { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } ؛ لأن العبادة هي الأصل ، والاستعانة تأتي تابعة لها بعد ذلك .

ورودها في القرآن على لسان الأنبياء :

قالها موسى u ، كما في قوله U : { قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }[1]

وقالها أيوب u ، كما في قوله تعالى : { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ }[2] .

وقالها حبيبنا المصطفى e ، كما في قوله تعالى: { قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ }[3] .

أنفع الدعاء :

قال ابن عباس t : { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } على طاعتك ، وعلى أمورنا كلها .

---

(١) الأعراف : ١٢٨ .

(٢) يوسف : ١٨ .

(٣) الأنبياء : ١١٢ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : تأمَّلت أنفعَ الدعاء ؛ فإذا هو سؤال العون على مرضاته ، ثم رأيته في الفاتحة في : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } .

وقال ابن القيم رحمه الله : فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته ، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب ، وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا ، وهو الذي علَّمه النبي e لِحبِّه معاذ بن جبل t ، فقال e : يا معاذ والله إني لأحبك ، فقال : أوصيك يا معاذُ لا تدعنَّ في دُبرِ كل صلاة تقول : (**اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**) [1] .

وعن ابن عباس t قال : كنت خلف النبي e يوماً فقال لي : يا غلام إني أُعلمك كلمات : (**احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**) فاستعن بالله ؛ لأن هناك كثيراً من الناس وللأسف الشديد إذا أصيب بمصيبةٍ أو بلية أو احتاج إلى أمرٍ ما ، هَرَعَ إلى الناس ، ونسي رب الناس سبحانه وتعالى ، لا بأس بالاستعانة بالناس ، وطلب العون منهم والمساعدة ، ولكن بعد الاعتماد ، وطلب الاستعانة من الله تبارك وتعالى (**واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك**) مهما ذهبت أو طلبت من هذا أو من ذاك ، إذا لم يكن الله U قد كتبه لك ، فلن تحصل عليه ، إذاً فمن الذي تقصده أولاً ؟ إنه الله جل جلاله . (**وإن اجتمعوا**

---

(١) رواه أبو داود (١٥٢٢) ، وابن حبان (٢٠٢١) .

على أن يضرُّوك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلامُ وجَفَّتِ الصُحُف)[1] وجفّت الصحف بمعنى أن الأقلام قد كتبت في اللوح المحفوظ ما هو كائن وما كان وما سيكون إلى يوم القيامة ، وارتفعت تلك الأقلام ، وجفت تلك الصحف ، فما هو حادث في هذه الأرض إنما هو بعلمه سبحانه وتعالى وتقديره .

وعن أبي هريرة t قال : قال الرسول e : (**المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍّ خير ، احرص على ماينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز**) إذاً المسلم مطالب بأن يكون ذا همةٍ عالية ، وذا نفسٍ قوية شجاعة ، وذا نفسٍ طموحة ولكن مع هذا الطموح ، ومع هذه النفس العالية ، ينبغي أن تكون هناك استعانة بالله ، لأنه مهما عظم الإنسان فهو تحت قدرة الله ، ومهما كبر الإنسان فهو محتاج إلى الله ، فلا بد وأن يستعين بالله U (**وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدَّر الله وما شاء فعل ، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان**)[2] انظر إلى هذا الحديث العجيب ؛ يقوي النبيُّ e نفسية المؤمن حتى لا ينهزم أمام الصعاب وأمام المصائب والبلايا والتي هي من طبيعة الحياة البشرية ، فلا يمكن أن تكون حياة بشرية من غير تمحيص ومن غير اختبار ومن غير ابتلاء ، ولكن المسلم المؤمن القوي ، الذي يتحمل هذه الصعاب ،

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٨) .

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤) .

ويستقبلها بنفسيَّةٍ مؤمنةٍ عالمةٍ بحقيقة هذه الحياة ، فهو دائماً يستقبلها ببشرٍ وبهدوءٍ ، وبحكمةٍ وطُمَأْنينةٍ ، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن ولا يعجز .

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز قال : لا تستعن بغير الله ، فيكلك الله إليه .

ومن كلام بعض السلف : يا ربِّ عجبتُ لمن يعرفك كيف يرجو غيرك، وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك ؟!

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : وأما الاستعانة بالله U دون غيره من الخلق، فلأنَّ العبدَ عاجز عن جلب مصالحه ودفع مَضَارِّه ، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله U ، فمن أعانه الله فهو المعان ، ومن خذله الله فهو المخذول ، وهذا تحقيق معنى قول : " **لا حول ولا قوة إلا بالله** " ومعناها : لا يحوّل عن المعصية ، ويقوي على الطاعة إلا الله ، وهي كلمة عظيمة [1].

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، معنى هذه الكلمات : تحقيق الاستعانة الكاملة بالله U ، ومن كانت هذه الكلمة على لسانه دائماً وهو موقن بها ، فهو المستعين بالله U حقًّا ؛ وهذا هو الفوز المبين ، وهذه هي الاستعانة بالله تبارك وتعالى ، الاستعانة به في ترك الذنوب ، فهو الذي يعينك على التحول من المعصية إلى الطاعة ، ومن الذنب والإثم إلى العبادة

---

(١) " جامع العلوم والحكم " (٤٨١/١) بتصرف .

والثواب ؛ ولا يتقوى إنسان على صلاة ، ولا على عبـــادةٍ إلا بتقويـــة الله سبحانه وتعالى له ، وإعانته له .

ما أعظم هذا الإله الكريم سبحانه وتعالى ؟! فهو الذي يهديك إلى الصلاة ، وهو الذي يقويك على الصلاة ، وهو الذي يعينك على الصلاة ، فأنـــت في نعمائه تتقلب ، ليس لك جهد يذكر في خيره وفضله عليـــك ســـبحانه وتعالى، فهو الذي اختارك، وهو الذي أعانك، فهو المستحق للحمـــد أولاً وآخراً ، ودائماً وأبداً ، سبحانه وتعالى ، له الحمد مِلءَ السماوات ، ومِلءَ الأرض ، ومِلءَ ما بينهما ، ومِلءَ ما شاء ربي من شيء بعد.

وكلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله) كلمة عظيمة، وكنز من كنوز الجنة.

روى البخاري ومسلم أنَّ النبي e قال لأبي موســـى الأشـــعري t : (**قل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة**) [1] .

وروى الإمام أحمد أنَّ رسول الله e قال لمعاذ بـــن جبـــل t : (**ألا أدلُّك على باب من أبواب الجنة**) قال : وما هو ؟ قال : (**لا حـــول ولا قوة إلا بالله**) [2] .

وفي رواية أنَّ النبي e قال لأبي هريرة : (**أَكثِرْ من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة**) [3] .

---

(١) رواه البخاري (٦٣٨٤) ، ومسلم (٢٧٠٤) ، وأبو داود (١٥٢٦) وغيرهم .

(٢) رواه الإمام أحمد (٣ / ٤٢٢) وقال المنذري : وإسناده صحيح إن شاء الله .

(٣) رواه الترمذي (٣٦٠١) وقال : هذا حديث إسناده ليس بمتصل . مكحول لم يسمع من أبي هريرة .

وروى الحاكم عن أبي هريرة t قال : قال لي رسول الله e : (**ألا أُعلمك ، أو ألا أدلُّك على كلمةٍ من تحتِ العرش من كنزِ الجنة ؟ تقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فيقول الله: أسلَم عبدي واستسلَم**) [1] لأنه استعان بالله U ، ولم يستعن بأحدٍ سواه .

وروى الإمام أحمد عن أبي أيوب الأنصاري t ، أنَّ رسول الله e ليلة أُسريَ به ، مرَّ على إبراهيم u فقال : من معك يا جبريل ؟ فقال : هذا محمد e . فقال له إبراهيم u : يا محمد ، مُر أُمتك فليكثروا من غراس الجنة ، فإن تربتها طيبة ، وأرضها واسعة . قال : وما غراس الجنة ؟ قال : (**لا حول ولا قوة إلا بالله**) [2].

قال مكحول : من قال : " **لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا ملجأَ من الله إلا إليه** " ، كَشَفَ عنه سبعين باباً من الضُرِّ أدناهنَّ الفقر .

ومن الاستعانة بالله :

الاستعانة بالصبر والصلاة ؛ كما في قوله U : { وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ } [3] . وقوله تعالى : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [1] .

---

(١) رواه الحاكم (١/ ٥١٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه هكذا، ووافقه الذهبي .

(٢) رواه الإمام أحمد (٥/ ٤١٨) وقال المنذري في " الترغيب " (٢٣٤٩) : إسناده حسن ، ورواه ابن حبان (٨١٨) .

(٣) البقرة : ٤٥ .

وعون العبد المسلم لأخيه على طاعة الله ، قال الله تبارك وتعالى : { وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ } [٢] .

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e: (**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**) [٣] .

# # # #

---

(١) البقرة : ١٥٣ .

(٢) المائدة : ٢ .

(٣) رواه الإمام أحمد (٢ / ٢٧٤) وقال محققو المسند (٧٧٠١) : حديث صحيح .